تمثلات الحدود في المتخيل الأدبي والفني، رواية "ساق البامبو" لسعيد السنعوسي أنموذجا

أ. فتيحة شفيري

تدفع الحدود الإنسان لأن يحيا في وحدة نفسية وعزلة مستديمة عن أخيه الإنسان، فيقل التفاعل بل ينعدم ولتتأسس في المقابل سمات إنسانية سلبية أهمها كره الآخر واحتقاره والسعي إلى محاربته، وهذا الانتقام البشري وجد مع الإنسان منذ أول الخليقة كما أدلى بذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته« اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته»١.

والحدود نوعان مادي ومعنوي، ويظل النوع الثاني أمّر من النوع الأول، لتأثيره الكبير في النفس. ومن أسسه الابتعاد المطلق عن العفو عند المقدرة، فالعفو كما قال أحد علماء النفس أحد سمات الشخصية السوية«من خصائص الشخصية السوية أن يكون لديها قدرة العفو عند المقدرة، هي الشخصية التي تصل إلى مستوى الثقة بالنفس الذي يقود الشخص إلى أن يعفو ويسامح غيره حتى ولو أخطأ»٢.

ومن أسس النوع الثاني الذي يزيد من مضاعفة الحدود بين الإنسان وأخيه عدم احترام الغير في إيديولوجيته وفكره ومساره الحياتي، إنه الإقصاء بمفهومه الدقيق للكلمة، ويعني هذا أيضا أن الشخصية التي تتصف بهذه السمة هي شخصية غير سوية«من أدلة الحكم على سواء الشخصية وصحتها هو الموضوعية واحترام حقوق الإنسان»٣، وقد انتشر هذا الأساس واستحوذ وجوده في مجتمعنا المعاصر حتى أضحى من المسلمات، في حين أنه من الأمور المنبوذة في ديننا الحنيف الذي يدعو«كل مسلم ألا ينقص حق أخيه ولا يحقر من عمله وأن يحترم حق الآخرين من مال وعرض ودم»٤.

ومن الأسس الأخرى للنوع الثاني الابتعاد عن مفهوم الاجتماعية، فالإنسان بطبعه ميال إلى الاجتماع مع غيره، فيتفاعل مع الآخر ليتحقق مفهوم التأثير والتأثر القائمة عليه علاقة الأنا والآخر«إن غريزة التجمع قائمة في كيانه، وأنه مدفوع إلى الحياة الاجتماعية بموجب تفاعل تلقائي»٥، والإنسان المعاصر كما أكدنا سابقا ابتعد تدريجيا عن هذا المفهوم ليرتبط في المقابل بمفهوم الحدود في شقها المعنوي وليخالف بذلك الحقيقة الآتية«فالخلق ما كان للتفرد والانفراد ولا للانفصال والتفرق»٦

وقد عالجت الروايات العربية على اختلاف أقلام مبدعيها مسألة الحدود وتأثيرها في النفس البشرية، لكن تلك الحدود ليست مادية بقدر ماهي معنوية، ومن هذه الروايات "ساق البامبو" للمبدع الكويتي سعود السنعوسي، ولكن قبل تحليل صورة الحدود في هذه الرواية التي تحصل صاحبها على جائزة البوكر للرواية العربية عام ٢٠١٣، ارتأينا تقديم ترجمة ذاتية للروائي باعتباره مبدعا شابا دخل معترك الإبداع من بابه الواسع.

ترجمة ذاتية للروائي سعود السنعوسي

يُعد سعود السنعوسي من المبدعين الكويتيين الشباب الذي ولج عالم الإبداع بثقة وتركيز، ولد سنة ١٩٨١ هو«عضو رابطة الأدباء الكويتية، ورابطة الصحفيين الكويتيين نشر في عدد من الصحف والمجلات في الكويت»٧ .

نال في سنة٢٠١٣ جائزة البوكر للرواية العربية عن عمله"ساق البامبو" وهو عمل يتناول طابوها محرما وهو صورة العمالة الأجنبية في المجتمع الخليجي وتحديدا في المجتمع الكويتي، وقد علمنا من تقصينا لنجاح الرواية السابقة الذكر أنها استحقت الجائزة من بين ١٣٣ رواية منافسة.

لم يتحصل السنعوسي على هذه

الجائزة فقط، بل أثبت قلمه وجودا في جوائز أخرى «وقد سبق أن نشر قصة" البوتساي والرجل العجوز" التي حصلت على المركز الأول في مسابقة القصص القصيرة التي نظمتها مجلة العربي الكويتية، كما فازت روايته الأولى "سجين المرايا" بجائزة ليلى العثمان لإبداع الشباب في القصة والرواية في دورتها الرابعة عام ٢٠١٠»٨.

المضمون المرتبط بالمدونة:

تتناول المدونة المختارة كما ذكرنا آنفا المجتمع الخليجي وتحديدا المجتمع الكويتي، ليكشف من خلالها السنعوسي خبايا هذا المجتمع، الذي يتعامل مع فئاته المكونة له تعاملا مختلفا، فإلى جانب من يسمى المواطن الكويتي الذي له الحق في الجنسية الكويتية، هناك من يُسمى البدون والأجانب، وهاتان الفئتان مظلومتان اجتماعيا.

يعيش البدون في الكويت منذ أمد بعيد جدا، فأصولهم تعود إلى البدو الرحل الذين سكنوا شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين، وكم من انتفاضة قاموا بها في الكويت للمطالبة بحقوقهم المهضومة ومنها حقهم في الجنسية الكويتية«ففي ٢٠١١ قام مئات من البدون بتجمع سلمي قمعته الحكومة بوابل من العنف ما أسفر عن إصابة عشرات الأشخاص وتوقيف عشرات آخرين»٩.

وقد عكس غسان وهو إحدى شخصيات الرواية صورة هذه الفئة المنبوذة اجتماعيا في الكويت، فهو يعيش في الهامش نتيجة قوانين الدولة الجائرة ومن جهة أخرى مرفوض ارتباطه بفتاة كويتية لأنه ببساطة من البدون وهذا ما وضحه عيسى أو هوزيه الشخصية الرئيسية في الرواية« عاش طيلة حياته وحيدا في شقة صغيرة خانقة في مبنى يغص بخليط من الوافدين»١٠.

وعلى الرغم من حالة التهميش التي عاشها غسان، إلا أنه كان مدافعا عن ألوان علم الكويت خصوصا عند احتلال العراق لهذا البلد«قاوم غسان المحتل في مكان آخر.. بطريق أخرى، كان يقوم بكتابة القصائد الوطنية وتلحينها أثناء الاحتلال وقد قام بتسجيل تلك الأغنيات لتوزيعها على الناس، تبث فيهم الحماس للمقاومة»١١

ولا ننسى الفئة الثانية المهمشة في المجتمع الكويتي وهم الأجانب، فهؤلاء يقصدون الكويت للعمل بها وهم من جنسيات مختلفة(الفلبين، إندونيسيا، البنغلاديش....) بحثا عن عمل يدّر عليهم أموالا طائلة.

تُعاني هذه الفئة من التمييز العنصري والتهميش، والدليل على ذلك أن الحكومة الكويتية تحجز جواز سفر هؤلاء الأجانب عند وصولها الكويت، بل يتم توقيفهم دون سبب فيتم احتجازهم« لعدة أيام أو أشهر في مراكز احتجاز مؤقتة أو تابعة للشرطة أو في مخيم السالمية»١٢. ولا تزال العمالة الأجنبية تعاني سوء المعاملة من قبل أرباب العمل حيث تم«إحصاء ١٣ حالة مفترضة للانتحار أو محاولة انتحار من طرف عاملات المناول في الكويت»١٣.

تُعتبر جوزافين أم عيسى أو هوزيه صورة لمعاناة العمالة الأجنبية في الكويت، فقد تركت هذه المرأة بلدها الفلبين لتستطيع جمع المال لإعالة عائلتها الفقيرة، وعلى الرغم من رغبتها في إتمام دراستها إلا أن أمنيتها تلك لم تتحقق لتصبح مثل سندريلا وكوزيت خادمة وهذا ما أفضته إلى ابنها«أحبت سندريلا وكوزيت بطلة البؤساء حتى أصبحت مثلهما خادمة إلا أنني لم أحظ بنهاية سعيدة كما حدث لهما»١٤.

وتُسافر جوزافين إلى بلد لا تعرفه ولا تعرف ثقافته أو تقاليده، ومع ذلك تحاول التأقلم مع ظروفها الجديدة ويساعدها والد هوزيه (رشيد الطاروف) على ذلك وهذا ما صرحت به جوزافين لابنها هوزيه«كان وجوده السبب الوحيد الذي منحني الصبر على منزل السيدة الكبيرة وسوء معاملتها لي، لم يكن باستطاعته تقديم شيء سوى كلمات التعاطف ليلا»١٥، وتتعلق جوزافين براشد ويتزوج بها لتثمر علاقتهما عيسى أو هوزيه الذي ينشأ بعيدا عن أرض والده، وحين تُقرر له أمه العودة يجد حدودا من الرفض من قبل عائلة والده، فيعود القهقرى إلى الفلبين.

تمثلات الحدود في رواية ساق البامبو:

يجب في البداية تحديد طرفي الحدود في المدوّنة المختارة وهما الأنا والآخر، فالأنا يمثله هوزيه ميندوزا أو عيسى الطاروف الشخصية الرئيسية للمدونة وأمه جوزافين ميندوزا وغسان صديق راشد الطاروف، أما الآخر فهو راشد الطاروف والجدة غنيمة والمجتمع الكويتي عامة.

حدود الوطن في المدونة:

يستمد الأنا وجوده من الآخر فالطرف الأول لا قيمة له إلا بوجود الثاني«الآخر

ضرورة وجودية لتحديد الأنا من جهة وهو فكرة ثقافية من جهة أخرى»١٦، وهذا الوعي بعلاقة الأنا بالآخر قد استثمرته جوزافين وغرسته في ابنها، والدليل أنها سعت إلى غرس حب عائلة الطاروف في قلبه خصوصا حب والده راشد الطاروف«أحببته ولا أزال، ولست أدري كيف ولماذا. ألأنه كان لطيفا معي في حين كان الجميع يسيء معاملتي؟أم لأنه كان الوحيد في منزل السيدة الكبيرة الذي يتحدث إلي في أمور غير إعطاء الأوامر؟»١٧.

لم تظهر الحدود بشقها المعنوي بين جوزافين وراشد الطاروف، لأنه لم يهتم باختلاف اللغة أو الدين بينه وبين الخادمة القادمة من الفلبين«أبي وحده كان حنونا لينا حنونا معها على الدوام، ولطالما اختلف مع جدتي وعماتي في شأن معاملتهن لجوزافين...أمي ..الخادمة»١٨، وبإلغاء الحدود بين راشد وجوزافين تتأسس المساواة بين الأنا والآخر، ومثل هذه المساواة التي طبقها راشد وسعى إليها منصوصة في ديننا الحنيف، فقد قال الله تعالى في سورة الحجرات«يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم«.

سعى راشد الطاروف إذن إلى تحسيس جوزافين بإنسانيتها ليعكس تصرفه ذاك صفة ذات ثقل وأهمية في ديننا الحنيف وهي التسامح، فالإسلام«ربى المسلمين على التسامح وكوّن نظرهم لغيرهم من أهل الملل، فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل إلا شيئا قد قضاه الله واقتضته حكمته فسلمت قلوبهم من التعصب»١٩.

ولكن هذه الإنسانية قد سعت الجدة غنيمة إلى إلغائها ورفضها تماما وقد تجلى ذلك منذ اللقاء الأولي للسيدة الكبيرة بجوزافين«وقد تشاءمت جدتي كثيرا من قدومها، وقد بدا ذلك على وجهها كلما ظهرت والدتي أمامها»٢٠ ، وإن رضيت جوزافين بهذه اللاإنسانية فقد رفضها ابنها عيسى أو هوزيه لذا قرر العودة إلى الكويت ليعيد لأمه إنسانيتها.

وتظهر الحدود بقوة مع عيسى الذي قرر الارتباط بوطن والده، وتبني هوية واضحة أساسها وطن واحد ودين واحد ولغة واحدة. فلقد كان هوزيه أو عيسى غريبا في الفلبين لأصوله العربية«ممن يعرفون حكايتي لا يُنادونني بأسمائي التي أعرف، ولأنهم لم يسمعوا ببلد اسمه الكويت فقد كانوا يُنادونني Arabo أي العربي»٢١، لتزداد غربته أكثر في وطن أجداده الكويت عندما يُعامل معاملة الأجنبي لملامحه الفلبينية«أما هنا فإن أول ما أفتقده هو ذلك اللقب Arabo إلى جانب ألقابي وأسمائي الأخرى، لأكسب لاحقا لقبا جديدا ضمنته الظروف إلى جملة ألقابي وكان ذلك اللقب هو.. الفلبين«٢٢

خلقت هذه الثنائية الاسمية حدودا رهيبة في نفسية الشخصية الرئيسية التي شعرت بضياع كبير إزاء ذلك، لكنها أرادت تجاوز تلك الحدود بالارتباط بوطن عرف عنه الكثير من أمه، فكان الوطن بذلك عند عيسى أو هوزيه« انتماء تاريخ خليط معقد من المشاعر والعواطف»٢٣، واقتنع أن العودة إلى الديار ستجعله يشعر بمواطنته ليشعر في المقابل بأنه مسؤول عن حماية البلد التي ينتمي إليها«المواطنة هي تعزيز الشعور بالمسؤولية والولاء والانتماء للوطن»٢٤.

حمل عيسى أمله هذا إلى الكويت معتقدا تحقيقه فهو معروف الوالد ومعروفة عائلة الطاروف في الكويت، وكيف لا يتحقق حلمه وقد وثق في وعد والده لأمه«ولكني الوحيد الذي كان يملك ما يُميزه عن أولئك مجهولي الآباء... وعدا كان قد قطعه والدي لوالدتي بأن يُعيدني إلى حيث يجب أن أكون، إلى الوطن الذي أنجبه وينتمي إليه لأنتمي إليه أنا أيضا»٢٥، لكن الصدمة كانت كبيرة عندما قابلته عائلة الطاروف برفض شديد بدءا بالجدة مرورا بالعمات، فكما نبذته حين كان رضيعا حمله والده إلى البيت الكبير للاعتراف به، نبذته أيضا وهو شاب يافع فوّلد هذا شتاتا نفسيا لديه«لو كنت فلبينيا هناك...أو Arabo هنا..لو تنفع كلمة لو...لو..»٢٦.

كان هذا التعامل اللاإنساني من قبل عائلة الطاروف قد جعل عيسى أو هوزيه يتساءل عن صلاحية التشريع الكويتي الذي نصت إحدى مواده ب«العدل والحرية والمساواة دعامات المجتمع والتعاون والتزاحم صلة وثقى بين المواطنين»٢٧، فالحرب النفسية التي أذكتها جدته وعماته قد جعلت البطل يعي وجود بون شاسع بين ما قرأه في التشريع الكويتي وبين واقعه في عائلة والده مما دفعه لتبني كلمة لو دائما وبشكل مكرر طيلة إقامته بالكويت، فلو كانت له ثقافة واحدة إما فيلبينية أو عربية لعاش هاني البال مرتاح النفس ولكن الوضع ليس كذلك مما جعله يدرك أن الحدود المؤسسة بينه وبين عائلة الطاروف قد لا تزول أبدا«لو أنهما اتفقا على شيء واحد... شيء واحد فقط بدلا من أن يتركاني وحيدا في طريق طويلة

باحثا عن اسم واحد ألتفت لمن يناديني به...وطن واحد أولد به، أحفظ نشيده وأرسم على أشجاره وشوارعه ذكرياتي قبل أن أرقد مطمئنا في ترابه»٢٨.

وما أثبت عدم رغبة عائلة الطاروف في عيسى أو هوزيه إقامة هذه الشخصية الرئيسية في غرفة خاصة بالخدم، لتُشعر هذه العائلة البطل بعدم رغبتها في تأسيس جو من المساواة والعدل بينها وبين هذا القادم من بلاد الخدم، وهذه المعاملة تعكس تلك الفجوة القائمة دائما بين نصوص التشريع الكويتي والواقع الكويتي القائم، فقد جاء في المادة ٢٩ النص الآتي«الناس سواسية في الكرامة الإنسانية وهم متساوون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين»٢٩

وكان عيسى أو هوزيه طيلة إقامته بالكويت يحاول التقرب بشتى الطرق من عائلة الطاروف، ساعيا في الوقت ذاته إلى إزالة تلك الحدود النفسية التي خلقتها الثقافة الاجتماعية الكويتية ولكن جهوده كلها باءت بالفشل، فاضطر إلى مغادرة بلد والده والعودة إلى الفلبين ليؤسس أسرة هناك مع ابنة خالته، ولكن وفي نهاية الرواية تتأكد رغبة عيسى أو هوزيه في إلغاء الحدود بين الثقافة الفليبينية والثقافة الكويتية، فكلتاهما تُشكل شخصيته ووجوده ليتأسس بذلك توازنه النفسي الذي رضي به واقتنع به في الأخير، وقد تبين ذلك في تلك المباراة الكروية التي جمعت الفلبين بالكويت«النتيجة حتى الآن مرضية بالنسبة لي، المتبقي عن زمن المباراة يزيد عن نصف ساعة لست أرغب بمتابعتها، لا أريد أن أفقد توازني لا أريد أن أخسرني أو أكسبني بهذه النتيجة أنا متعادل»٣٠.

قامت الحدود النفسية كذلك بين غسان وعائلة الطاروف من جهة وبين غسان وبين المجتمع الكويتي من جهة أخرى لأنه ينتمي إلى طبقة البدون المرفوض وجودها في الدولة الكويتية، فعاشت هذه الشخصية في الهامش مثلها مثل كل من ينتمي إلى هذه الطبقة، لتبقى مسألة رفضها في المجتمع الكويتي مسألة متوارثة كالجينات وهذا ما أقرّ به غسان نفسه لعيسى في لحظات بوح استثنائية«البدون جينة مشوّهة تتعطل بعض الجينات ولا تصل إلى الأبناء أو تتجاوز لتُظهر في الأجيال اللاحقة من ذريتهم، إلا أن هذه الجينة الخبيثة فإنها لا تخطئ أبدا تنتقل من جيل إلى آخر محطّمة آمال حامليها»٣١.

كانت الرغبة في إزالة الحدود النفسية هذه قائمة عند غسان مثلما قامت عند عيسى أو هوزيه، فانخرط في صفوف الجيش الكويتي لمقاومة الاحتلال العراقي للكويت، إلا أن ذلك لم يشفع له أن يتحرر من دائرة التهميش واللامبالاة لأنه من«أناس لا ينتمون إلى مكان ينتمون إليه»٣٢، والدليل الآخر على رغبة غسان في إزالة الحدود تلك تقربه الكبير من عائلة الطاروف فقد كان صديق راشد الطاروف المقرّب وحبيب هند الطاروف، وإن قُبلت صداقته فقد رُفض حبه ونتيجة هذا الرفض يقُرر غسان عدم الزواج بشكل مطلق حتى لا يُعاني أبناؤه من مرارة التهميش واللامبالاة التي عاناها ومازال وسيظل يكابد لوعاتها«لا أريد أن أُنجب أبناء يلعنوني بعد موتي»٣٣.

وإن رفض عيسى أو هوزيه سياسة التهميش واللامبالاة التي عاناها في الكويت، فقد قبل غسان بهذه السياسة ورفض مغادرة البلاد تحت أي ظرف أو سبب وإن ظل البون شاسعا بين التشريع والوضع الاجتماعي القائم، فغسان لن يتمتع بما جاءت به المادة الثامنة من التشريع الكويتي وغيرها من المواد«تصون الدولة دعامات المجتمع وتكفل الأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص للمواطنين»٣٤ .

حدود اللغة في المدونة :

تُعتبر اللغة وجها آخر من أوجه الهوية الاجتماعية لأي بلد كان، وهي صورة من صور ثقافة هذا البلد«اللغة هي الوعاء الثقافي وجذر الهوية في أي مجتمع»٣٥، فاللغة تمثل وجود الإنسان وصدق مصيره، والابتعاد عن اللغة الأصل هو ابتعاد عن الهوية وهذا ما عاناه عيسى أو هوزيه.

شكّلت اللغة صورة أخرى من صور الحدود النفسية في المدوّنة المختارة، وهذه الصورة متعلقة خصوصا بعيسى أو هوزيه، فقد قضت هذه الشخصية جل طفولتها في الفلبين ولم تعرف لغة أخرى غير لغة بلدها مما جعل تواصله مع أبناء المجتمع الكويتي صعبا في البداية.

أراد عيسى أو هوزيه كما لاحظنا سابقا التأقلم مع رافضيه من عائلة الطاروف طيلة مدة إقامته بالكويت، ليحاول في المقابل كذلك تجاوز تجاهله للغة العربية من أجل التقرب من هذه العائلة والاندماج فيها، فقد رأى أن تعابير الوجه الوحيدة القادرة على نقل المشاعر والأحاسيس المرتبطة بالآخر العربي«الكلمات الطيبة لا تحتاج إلى ترجمة، تكفيك أن تنظر إلى

وجه قائلها لتفهم مشاعره وإن كان يتحدث بلغة تجهلها»٣٦.

ورغبة تجاوز هذا النوع من الحدود قد ارتبط بها عيسى أو هوزيه قبل مقدمه إلى الكويت، بدليل اعتزازه بعروبته مع شباب كويتيين التقى بهم في الفلبين فلم يقدم لهم نفسه على أنه فليبيني النشأة، بل قدّم لهم نفسه على أنه عربي الجذور على الرغم من عدم تفقهه للغة العربية«أنتم من الكويت... أليس كذلك؟... اسمي عيسى... أنا واحد منكم»٣٧.

وقد استعاض البطل عن اللغة العربية مع هؤلاء الشباب بلغة الجسد، ليُبيّن لهم أنه يستطيع التواصل معهم بلغة أخرى يفهمها ويعيها مؤكدا لهم أنه كويتي الموطن عربي الهوى، فراح يرقص لهم رقصة الكويتيين المعروفة«الدهشة استحالت ابتسامات، تبادلوا كلمات لا أفهمها، شرعوا بالتصفيق بتلك الطريقة المجنونة، هززتُ كتفي وجسدي يتمايل... الاهتمام بدا على وجوه البقية، أحنيتُ ساقيّ ثمّ قفزتُ في الهواء... انفجروا ضاحكين يُقهقهون...يستلقون على ظهورهم...ــــ نعم..أنت على حق ..كويتي ولكنmade in philippines»٣٨.

ويجمع عيسى أو هوزيه كذلك بين اللغة الفيليبينية التي نشأ عليها وبين اللغة العربية التي لا يعرفها ويعشقها لأنها لغته الأصلية في تلك الرواية التي ستحكي رحلته في بحثه عن الهوية الواحدة، فسيكتبها بالفيليبينية ليترجمها صديقه الكويتي إبراهيم سلام إلى العربية بمساعدة خولة أخت البطل من والده والوحيدة المتعاطفة معه«قررت الكتابة بالفلبينية وإن طابقت في حروفها الحروف الانكليزية، التفتُ إلى إبراهيم الذي كان قد استلقى على مرتبته يستعد للنوم: ــــ إبراهيم !، التفت إلي بعينين ناعستين. سألته: هل تترجم لي نصا؟ أجاب باسما: هذا عملي.»٣٩.

ويعكس سعي عيسى أو هوزيه في تحقيق التوازن النفسي أنه شخصية تبحث عن الكمال لكي لا يعيش طوال حياته في ذلك الاضطراب النفسي الذي عاشه مذ كان صغيرا، وليُحقق تعايشا سلميا مع من حوله سواء الذين ينتمون إلى هنا (الفلبين) أو الذين ينتمون إلى هناك(الكويت)، إنه إذن البحث عن الذات الكاملة«إن الذات هي هدف الحياة، الهدف الذي يُحاول الناس بلوغه دائما، وهي مثل جميع الأنماط الأولية تُحرك السلوك وتدفعه نحو البحث عن الكلية»٤٠ .

حدود الدين في المدوّنة :

يحتاج المرء إلى الدين لتقوية عزيمته ومواجهة تقلبات الحياة، وتحقيق الاستقرار النفسي«الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة وهو الذي يُمكننا من أن نستخرج من الحياة كل ما في الحياة من محن ونتقبلها بكثير من الشجاعة والرضا، وهو الذي يهيء لنا كل ما هو ضرورة لحياة واعدة»٤١، وهذا ما كان يسعى إليه عيسى أوهوزيه.

لم يبحث عيسى أو هوزيه عن الوطن الواحد أو اللغة الواحدة لتحقيق توازنه النفسي، بل بحث أيضا عن الدين الواحد ليُحقق ذلك التوازن النفسي المنشود، فلا دين له معروف فوالده مسلم وأمه مسيحية ليرتبط في إحدى فترات شكه بالديانة البوذية وهو في كل هذا لم يعرف أيّ دين يختار«إن قدري أن أقضي عمري باحثا عن اسم ودين ووطن»٤٢.

وبني هذا الضياع الديني حدا فاصلا بين عيسى أو هوزيه وبين راحته أو توازنه النفسي، فلو كان مسلما لتنعم بحياة عائلة الطاروف الرغيدة«لو وُلدت لأب وأم كزيتيين مسلما، أسكن في بيت كبير تحتل غرفتي فيه مساحة لا بأس بها في الدور العلوي، غرفة فيها تلفاز ٤٦ بوصة وغرفة ملابس وحمام. أستيقظ صباح كل يوم لأذهب إلى عملي الذي اخترته بنفسي مرتديا تلك الثياب البيضاء الفضفاضة مع غطاء الرأس التقليدي»٤٣.

وتكفل له الديانة المسيحية لو كان مسيحيا حلاوة الحياة المتواضعة التي هي سمة أهل الفلبين«لو وُلدت لأب وأم فلبينيين من طينة واحدة أعيش مسيحيا ميسور الحال مع عائلتي في مانيلا أغوص كل يوم في زحمة البشر وأفتح رئتيّ ومسامات جلدي لأمتص عوادم السيارات»٤٤.

وتسعى ديانته البوذية لو كان بوذي الديانة إلى توفير الحياة البسيطة في قلب الفلبين كما قال«أو بوذيا من أصول صينية أعمل مع والديّ في أحد متاجر الحيّ الصيني في مانيلا أحرق البخور كل صباح أمام تمثال بوذا جلبا للرزق»٤٥.

وسعى عيسى أو هوزيه إلى خرق حد الدين هذا حين أراد الاستقرار على دين واحد هو الإسلام، فوجد في سماعه للآذان تلك الراحة النفسية المنشودة«شعور غريب لامس روحي في تلك الأثناء شيء بث الطمأنينة في نفسي أتراه لامس همسات أبي الساكنة»٤٦

خاتمة :

هدف سعود السنعوسي من كتابة

روايته هذه إماطة اللثام عن معاناة الإنسان المعاصر الذي مازال يعيش الأمّرين من حدود قائمة في المجتمعات خصوصا المجتمعات العربية، ففي الوطن الواحد حدود معنوية كثيرة تعيق إرادة هذا الإنسان وتُكبّلها، وتضيع نفسه وتحتار مع حدود اللغة إذا كان جاهلا بها وبقواعدها فتجعله غريبا مع أهل تلك اللغة، كما تتشتت ذاته وتبتعد عن الكمال إذا لم يجد دينا يركن إليه ليرتاح و يتجاوز عقبات الحياة، ولكن يمكن لهذا الإنسان تجاوز تلك الحدود كلها محققا بلك توازنه النفسي المنشود، وما تزال هذه الرواية تنتظر العديد من القراءات الجديدة والجادة، لأنها أثر فني مفتوح على تأويلات متنوعة لا محدودة.

الهوامش

١ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، ط٢، لبنان، ١٩٩٨، ص ٢٤٥

٢ سعد رياض، موسوعة علم النفس والعلاج النفسي، دار ابن الجوزي، مصر، ٢٠٠٨، ص ٢١٨

٣ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

٤ المرجع نفسه، ص ٢٢٥

٥ محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩٠، ص ٢٥٥

٦ المرجع نفسه، ص٢٥٧

٧ ابراهيم فرغلي، حوار مع الكاتب سعود السنعوسي ، مجلة العربي، الكويت، ع٦٥٦، يوليو ٢٠١٣، ص ٢٨

٨ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

٩ منظمة رصد حقوق الإنسان، سجناء الماضي البدون في الكويت، نيويورك، يونيو ٢٠١١، ص ٦

١٠ سعود السنعوسي، ساق البامبو، الدار العربية للنشر، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص ٢٢٧

١١ المصدر نفسه، ص ٢٠٠

١٢ منظمة رصد حقوق الإنسان، ص٦

١٣ الكنفدرالية النقابية الدولية، التقرير السنوي عن انتهاكات الحقوق النقابية، ٢٠١٠

١٤ ساق البامبو ص ١٩

١٥ المصدر نفسه، ص ٣٥

١٦ مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر٢٠١١، ص ١٢٠

١٧ ساق البامبو، ص ٣١

١٨ المصدر نفسه، ص ٣١،٣٠

١٩ الزاوي بغورة، الإسلام والتسامح، مجلة العربي، الكويت، ع ٦٥٦، ٢٠١٣، ص ٢٠

٢٠ ساق البامبو، ص ٣٠

٢١ المصدر نفسه، ص ١٧

٢٢ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

٢٣ كريم المهدي المسعودي، الوطن في شعر السياب، دار صفحات للدراسة والنشر، سوريا، ٢٠١١، ص٥

٢٤ أسماء علي أبا حسين، مؤشرات قياس مدى تحقيق المواطنة البيئية، مجلة العلوم الإنسانية جامعة الكويت، ع٣٤، ٢٠٠٦، ص٣٥

٢٥ ساق البامبو، ص١٨

٢٦ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

٢٧ المادة السابعة من مجموعة التشريعات الكويتية، ج٥، ط٧، دار الفتوى والتشريع، الكويت، يناير ٢٠٠٤، ص ٦٧

٢٨ ساق البامبو، ص ٦٣

٢٩ مجموعة التشريعات الكويتية، ص ٢١

٣٠ ساق البامبو، ص ٣٩٦

٣١ المصدر نفسه، ص ٢٢٨

٣٢ المصدر نفسه، ص ١٩٢

٣٣ المصدر نفسه، ص ٢٢٧

٣٤ مجموعة التشريعات الكويتية، ص ٧٣

٣٥ سليمان إبراهيم العسكري، لغتنا وتحديات الثقافة المعاصرة، مجلة العربي، الكويت، ع٦٥٦، ٢٠١٣، ص١٠

٣٦ ساق البامبو، ص ١٠٢

٣٧ المصدر نفسه، ص ١٥٢، ١٥١

٣٨ المصدر نفسه ص ١٥٨،١٥٩

٣٩ المصدر نفسه، ص ٣٨٨

٤٠ خليل حنا تادرس، الشخصية، خصائصها وميزاتها، كتابنا للنشر، لبنان، ٢٠١٢، ص ٨٨

٤١ عبد العزيزالبهواشي، دور التربية الإسلامية في تنمية الشخصية المصرية، دار الفكر، مصر، دت، ص ٤٤٥

٤٢ المصدر نفسه، ص ٦٦

٤٣ المصدر نفسه، ص ٦٣

٤٤ المصدر نفسه، ص ٦٤

٤٥ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

٤٦ المصدر نفسه، ص ١٠٨